Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سعره الوطنى فى شيخوخته كان أقوى منه فى شبابه، وقد يكون مرجع ذلك إلى تجرده من الاتصال بالقصر بعد خلع الخديو عباس حلمى، كما أسلفنا، ثم إلى نفيه من مصر فى أوائل الحرب العالمية الأولى، فأثار البعد عن الوطن شاعريته، وجاد بأبدع قصائده فى الحنين إلى مصر وحبه لها والهيام بها إلى درجة التقديس، ومرجع ذلك أيضا إلى تأصل عبقرية الشعر فى نفسه، فلم تضعفها السن، ولم ينل منها الزمن وظلت قوية تتدفق حيوية ونشاطا.

والوطنية فى شعر شوقى هى فيض الفطرة والإلهام، وليست من صنع الظروف أو التكلف، ولذلك جاءت قوية جارفة، عميقة رائعة.

فتأمل فى أول قصيدة له فى ديوانه وهى التى قالها فى المؤتمر الشرقى الدولى المنعقد بمدينة جنيف عام ١٨٩٤ ومطلعها.

هَمَّتِ الفلكُ واحتواها الماء وحداها بمن تُقلّ الرَّجاء

تجدها آية فى شعر الملاحم أو الشعر التاريخى، وتحس وأنت تقرؤها أنها قبس من نور الوطنية، فهى سجل ناطق (لكبار الحوادث فى وادى النيل)، وقد بلغ عدد أبياتها ثلثمائة بيت إلا قليلا (تسعين ومائتى بيت)، عرض فيها عرضا أخاذا بديعا تاريخ مصر من أقدم العصور إلى عام نظمها، أشاد بعظمتها ومجد مفاخرها، وحنى عليها فى كبواتها، واستنزل السخط على كل من اعتدى عليها.

فانظر إلى قوله عن عظمة مصر:

قُلْ لبانٍ بنَى فشادَ فغالى لم يَجُزْ مصر فى الزمان بناء
ليس فى الممكنات أن تُنْقَل الأجْبال[1] شُمًّا وأن تُنَال السماء

ولما انتهى فى سرد الحوادث إلى الحملة الفرنسية سجل إخفاقها وارتدادها عن مصر، قال:

وأتى النسر[2] ينهب الأرض نهبًا حولَه قومهُ النسورُ ظِماء.
يشتهى النيل أن يشيد عليه دولة عرضُها الثرى والسماء
حلُمتْ رومةٌ بها فى الليالى ورآها القياصرُ الأقوياء
فأتت مصر رُسْلُهم تتوالى وترامت سودانَها العلماء
ولو استشهد الفَرنسيسُ روما لَأتَتْهُمْ من رومةَ الأنباء
علمتْ كلُّ دولة قد تولَّتْ أننا سمها وأنا الوباء

(١) الأحبال: جمع جبل.
(٢) يقصد نابليون.